دكتور بهاء الأمير

أكاذيب سريانية

(١)

العربية أم اللغات(•)

•) من كتاب: تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب.

- **خصائص اللغات السامية:**

تنقسم اللغات السامية عند علمائها إلى عدة أقسام، مع اختلاف في طريقة التقسيم، فإليك تقسيم سباتينو موسكاتي، في كتابه: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، وهو تقسيم حديث، إذ وضع موسكاتي كتابه بالاشتراك مع آخرين سنة ١٩٦٢م:

" القسم الأول هو السامية الشرقية، وتضم الأكادية والبابلية والأشورية ... والثاني هو السامية الشمالية الغربية، وتشمل الأوغاريتية والفينيقية والعبرية والآرامية والنبطية والسريانية ... والقسم الثالث هو السامية الجنوبية الغربية، وتشمل العربية الجنوبية، وهي السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية والأوسانية، مع الحبشية الإثيوبية، والعربية الشمالية التقليدية أو الكلاسيكية"[١].

وبين مجموعة اللغات المختلفة التي تصنف معاً على أنها سامية وجوه شبه في المفردات والأصوات والنحو والصرف، ووجوه الشبه هذه تقرب بين اللغات السامية المختلفة، وفي الوقت نفسه تفصل بينها وبين مجموعة اللغات الأخرى التي تعرف بالهندوآرية.

فهذه هي خلاصة وجوه الشبه والاقتراب بين اللغات السامية المختلفة، من أربعة كتب مختلفة، هي: تاريخ اللغات السامية، للمستشرق اليهودي إسرائيل ولفنسون، وفقه اللغات السامية، لبروكلمان، ومدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، لسباتينو موسكاتي، والساميون ولغاتهم، للدكتور حسن ظاظا.

تقوم اللغات السامية على الحروف الساكنة أو الصامتة بصورة أساسية، ويرتبط المعنى الرئيسي أو الأصلي للكلمة بها، ولذا يزيد عدد الحروف في اللغات السامية عن المألوف في اللغات الآرية، وتتنوع فيها مخارج الحروف وصفاتها تنوعاً كبيراً لا مثيل له في غيرها من اللغات.

وهي لغات اشتقاق تتكون فيها الكلمات أو تتنوع معانيها بموافقة ميزان صرفي، أي بتحوير بنية الجذر ليوافق أوزاناً ثابتة، بخلاف اللغات الغروية، أو لغات النحت التي

---

١) سباتينو موسكاتي، وأنطون شبتلر، وإدفارد أولندورف، وفلرام فون زودن: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ص١٩-٣٢، ترجمه وقدم له: دكتور مهدي المخزومي، ودكتور عبد الجبار المطلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

تتكون فيها الكلمات بإضافة لواصق أو لواحق للأصل، فتتكون الكلمة من عدة أجزاء موصولة ببعضها.

فالجذر الثلاثي: قرأ على وزن فعل، ومضارعه: يقرأ على وزن يفعل، والأمر اقرأ على وزن افعل، واسم المكان: مقرأة على وزن مفعلة، والمصدر منه: قراءة على وزن فِعالة، وقرآن عل وزن فُعلان، واسم الفاعل: قارئ على وزن فاعل، واسم المفعول: مقروء على وزن مفعول.

ولا يوجد في اللغات السامية إدغام لكلمة في أخرى حتى تصيران كلمة واحدة تدل على معنى مركب من الكلمتين، وبديل ذلك الإعراب، وهو تغيير الحركات في أواخر الكلمات لتحديد موقعها الوظيفي في الجملة.

وأغلب كلمات اللغات السامية مشتق من أصل أو جذر ثلاثي، يتكون من ثلاثة حروف صامتة، ويكون الاشتقاق منه وتكوين الكلمات باستخدام الحركات أو الحروف المتحركة أو الصائتة، أو بالزيادة على الأصل.

وقد تكون هذه الزيادة سابقة على حروف الجذر أو داخلة بينها أو لاحقة لها، فالزيادة السابقة على حروف الأصل هي التصدير، والداخلة بينها هي الحشو، واللاحقة لها هي الكسع(٢) ، وهذه الحروف الزائدة على الأصل تغير الميزان الصرفي للكلمة لكن ليس لها معنى في ذاتها مثل تلك التي في اللغات الغروية.

وأصل الكلمة أو جذرها في اللغات السامية هو الفعل وليس الاسم، فهي لغات فعلية، فمن الفعل تتكون الجملة، وله يخضع الاسم، وبه يرتبط الضمير، وأغلب الجذور ثلاثية، ولا تزيد عن ثلاثة حروف إلا نادراً.

والفعل في هذه اللغات لا يصف في الأصل الزمان الذاتي أو كما يراه الإنسان بالنسبة إليه، الماضي والحاضر والمستقبل، بل يصف الزمان الموضوعي المرتبط بالحدث، من حيث انتهاؤه أو استمراره وعدم انتهائه، فالذي يدل على تمام الفعل وانتهائه هو الماضي، والذي يدل على استمراره وعدم تمامه هو المضارع.

والتعبير عن زمن الفعل بالنسبة للإنسان يعتمد على السياق ووجود أدوات إضافية، مثل السين وسوف، والأفعال الناقصة، وقد ولن ولم، ومثيلاتها.

---

٢) سباتينو موسكاتي وآخرون: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ص١٢٣.

وتشيع في هذه اللغات وسائل التعبير عن أنواع الحدث، مثل المبني للمعلوم والمبني للمجهول والتكرار.

وتتشابه مخارج الحروف وأصواتها في اللغات السامية، وتوجد كلمات مشتركة بين أغلب هذه اللغات، مثل الضمائر والأعداد وأعضاء الجسم وأغلب حروف الجر، وعدد كبير من الكلمات الدالة على البيئة والحيوانات، مثل السماء والأرض والبيت والجمل والحمار والكلب.

فعَيْن العربية هي عَين العبرية، وعيْنا الآرامية والسريانية، وأنو الأشورية، وعَيْن الحبشية.

وسماء العربية هي شمايم العبرية، وشمايا السريانية، وشَمو الأشورية، وسَماي الحبشية.

وبعير العربية هي نفسها بعير العبرية، وبعيرو الآرامية، وبعيرا السريانية، وبعيراوي الحبشية.

- **جزيرة العرب مهد السامية:**

وقد ترتب على اقتراب اللغات السامية ووجوه الشبه بينها فرضيتان ويتبع كل منهما سؤال، فالفرضية الأولى هي أن هذه اللغات السامية كلها، كانت في أصلها لغة واحدة، ثم تفرعت من هذه اللغة الأم، وابتعدت عنها بدرجات تختلف من لغة إلى أخرى، والسؤال الذي يتبع هذه الفرضية هو: ما هي هذه اللغة الأم أو الأصل التي انحدرت منها اللغات السامية Proto Semitic، وما هي أقرب اللغات السامية المعروفة والباقية إليها؟

والفرضية الثانية، وهي في الحقيقة الأولى، فهي أن الشعوب التي تتكلم اللغات السامية، على افتراقها واختلاف مواطنها، انحدرت من أصل واحد أو شعب مشترك كان يوجد ويعيش مجتمعاً في منطقة جغرافية معينة ويتكلم لغة واحدة، قبل أن ينقسم ويتفرق في أماكن مختلفة من الشرق وتتباعد لغاته، وإن ظلت متقاربة وتحمل جميعها ملامح لغتها الأم.

والسؤال الذي وُلد من هذه الفرضية هو: أين هي المنطقة من الشرق التي كان يوجد فيها الشعب السامي الأول الذي خرجت منه الشعوب السامية كلها، وأي الشعوب التي تسمى بالسامية اتصل وجوده في هذه المنطقة أو لم يتحرك منها، ومن ثَم فهو الامتداد المباشر لهذا الشعب السامي الأول أو الأقرب إليه، ولغته هي اللغة الأم أو الأقرب إليها؟

فإليك بيان الفرضيتين وما يتبعهما من أسئلة في عبارات موجزة لكارل بروكلمان:

"والاعتراف بأن كل هذه اللغات تكون مجموعة كبرى، يؤدي بالضرورة إلى الاعتراف بأن الشعوب التي تتكلم بهذه اللغات كانت متحدة في وقت ما عبر التاريخ ... الشعب الذي انتشر شمالاً وجنوباً واضطر شعوباً أخرى إلى التكلم بلغته لابد أنه كان يعيش يوماً ما في مكان واحد مشترك ... وعندما كان الساميون يكونون شعباً واحداً فلابد أنهم كانوا يتكلمون فيما بينهم بلغة واحدة مشتركة"(٣)

وقبل الشعب السامي الأول، أو الأب الذي انحدرت منه الشعوب التي تسمى بالسامية جميعها، وأين مهده، وما هي المنطقة التي وجد فيها مجتمعاً قبل أن تنفصل أجزاء منه وتتحرك في اتجاهات مختلفة من حوله، لتستوطن ما نزلت فيه من بلاد الشرق، إليك أولاً ما تعرف منه هذه الشعوب وما استوطنته من البلدان، والمنطقة التي تتحرك داخل تخومها لغاتها.

يقول وليام رايت William Wright (١٨٣٠م-١٨٨٩م)، أستاذ العربية واللغات السامية في جامعة كمبردج، وهو من رواد الاستشراق والتأليف في اللغات السامية وفقهها، وفي جمع تراث السريانية المخطوط، وحكمت بعض بحوثه أعمال المستشرقين من بعده، في كتابه: محاضرات في النحو المقارن للغات السامية Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages:

"تستوطن الشعوب السامية رقعة محدودة من سطح الأرض، فهُم تاريخياً قاطنوا الركن الجنوبي الغربي من آسيا، وهي المنطقة التي يحدها من الشمال جبل طوروس Taurus ومرتفعات أرمينيا Armenia، ومن الشرق جبال كردستان Kurdistan وخوزستان Khuzistan والخليج الفارسي Persian Gulf، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر والبحر المتوسط، وكانت البلاد التي تسمى الحبشة Abyssinia من أوائل المناطق التي استوطنوها، بعد أن عبروا باب المندب Bab El Mandeb"(٤)

٣) **كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية، ص١٢، ١٤.**

4) William Wright: Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages, P4, Cambridge University Press, London, 1890.

وداخل هذه المنطقة الواسعة من الشرق التي ينحصر وجود الشعوب السامية ولغاتها داخل حدودها، ثَمة ست نظريات مختلفة عن البؤرة الأولى التي عاش فيها الشعب السامي الأب، الذي انحدرت جميعها منه.

"**فبعضهم يذهب إلى أن الساميين قد نشأوا ببلاد الحبشة، ومنها نزحوا إلى القسم الجنوبي ببلاد العرب عن طريق باب المندب ... وبعضهم يذهب إلى أن الموطن الأول للساميين كان شمال إفريقيا، ومنه نزحوا إلى آسيا عن طريق برزخ السويس، وبعضهم يذهب إلى أن المهد الأول للساميين كان بلاد أرمينيا بالقرب من حدود كردستان ... ويذهب الأستاذ جويدي ومن تابعه إلى أن المهد الأصلي للأمم السامية كان جنوب العراق ... ويرى بعضهم أن الموطن الأصلي للساميين بلاد كنعان ... ويرجح بعضهم أن المهد الأول للساميين كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية**"[٥]

وأشهر هذه النظريات بين مؤرخي الشعوب السامية وفقهاء لغاتها، وأقواها، فرضية العراق أو بلاد ما بين النهرين، وفرضية الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب، أو المنطقة من جزيرة العرب التي تمتد من الحجاز إلى اليمن.

فأما نظرية ما بين النهرين، فإليك كيف تكونت وما هي أدلتها.

يقول وليام رايت إنه في مرحلة مبكرة من دراسته للغات السامية كان يتابع من يعتقدون أن بلاد ما بين النهرين هي مهد الشعب السامي الأول، وهي الفرضية التي بدأت بدراستين للمستشرق اليهودي الألماني صمويل فون كريمر Samuel Von Kremer، نشرهما سنة ١٨٧٥م، في دورية: الشعوب الأخرى Das Ausland، وهي دورية علمية ألمانية تختص بنشر البحوث والدراسات المتعلقة بتراث الشعوب غير الآرية، وكان موضوع الدراستين عن: النباتات والحيوانات التي جلبها الساميون واستعاروا أسماءها من الأجناس الأخرى Semitische Culturentlehnungen aus dem pflanzen und their reiche.

وفي دراسته قال كريمر إن اسم الجمل Camel مشترك بين لغات الساميين جميعها، بينما لا يوجد فيها اسم مشترك للنخيل وثماره من التمر Date Palm، ولا للنعامة Ostrich، وهو ما يعني أن الجمل هو الاسم الذي كان يستخدمه الشعب السامي الأول

٥) دكتور علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص٩-١٠، دار نهضة مصر، الطبعة الثالثة، القاهرة، أبريل ٢٠٠٤م.

لوصف هذا الحيوان حين كان مجتمعاً في بقعة واحدة، ثم ورثته عنه الشعوب السامية التي انحدرت منه، ليظل شاهداً على وحدة أصلها ولغاتها.

ومن ثم ذهب فون كريمر إلى أنه:

"**داخل حدود الشعوب السامية، مهد هذه الشعوب هو المنطقة التي لا يوجد بها نخيل ولا نعام، بينما عُرف الجمل فيها منذ أقدم العصور، وهذه المنطقة هي السهول العظمى في وسط آسيا، قرب نهري جيحون Jaihun وسيحون Saihun، فبلاد الرافدين Mesopotamia وبابل Babylonia، هي وطن الساميين، وأقدم مركز للحضارة السامية**"(٦)

وفي سنة ١٨٧٩م، نشر المستشرق الإيطالي إجناتسيو جويدي Ignazio Guidi دراسة عنوانها: المهد الأول للشعوب السامية Della Sede Primitiva dei Popoli Semitici، وفي دراسته توسع جويدي في طريقة فون كريمر في الاستدلال بالتحليل اللغوي، عبر المقارنة بين الكلمات التي تشترك اللغات السامية المختلفة في استخدامها للتعبير عن المعالم الجغرافية ومظاهر سطح الأرض، وأنواع التربة، والطقس والتغيرات المناخية، وأسماء الحيوانات والنباتات والمعادن.

فيقول جويدي إن كلمة: **نهر** مثلاً موجودة بمعناها وصوتها في كل اللغات السامية، بينما الكلمة التي تدل على الجبل تختلف من لغة سامية إلى أخرى، فهي في العربية: جبل، وفي العبرية: هار، وفي الآرامية والسريانية: طورا، وفي الأشورية: شادُو.

وما وصل إليه جويدي في دراسته كان قريباً من نتائج فون كريمر:

"**بابل كانت هي المهد الأول للحياة السامية، وقد هاجر هؤلاء الساميون الأوائل إليها من الأراضي التي تحيط ببحر الخزر Caspian Sea**"(٧)

ومن أشهر من تبعوا فرضية فون كريمر وجويدي، في أن بلاد الرافدين وبابل هي موطن الشعب السامي الأول، وبنوا بحوثهم ودراساتهم عليها، المستشرق الفرنسي وأستاذ الآثار واللغة السريانية في المكتبة الوطنية بباريس Bibliothèque Nationale فرانسوا لينورما François Lenormant (١٨٣٧م-١٨٨٣م)، والمستشرق الألماني فريتز هومل

6) Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages, P5-6.
7) Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages, P6.

Fritz Hommel (١٨٥٤م–١٩٣٦م)، أستاذ اللغات السامية في جامعة ميونيخ Munich، وعالم اللاهوت البروتستانتي والمستشرق والمستكشف الأمريكي جون بونيت بيترز John Punnett Peters (١٨٥٢م–١٩٢١م)، أستاذ لغات العهد القديم وآدابه في جامعة بنسلفانيا.

وحسب تفسير هؤلاء جميعاً لطريقة تفرق الشعوب السامية وانتشارها، فإن الشعب السامي الأول بعد أن استوطن بلاد الرافدين، أو ما بين دجلة والفرات، وبسبب نزاعات داخلية، أو ضغط قوة خارجية، انشطر منه انشطاران، وتحرك كل منهما في اتجاه غير الآخر.

فقسم من الشعب السامي اتجه شمالاً نحو سوريا، ثم تفرع من هذا القسم فرع امتد بحركته إلى أرض كنعان، وأما القسم الآخر فاتجه نحو رأس الخليج، ثم انساح في جزيرة العرب، وعبر فرع منه مضيق باب المندب ليستوطن الحبشة.

ويقول وليام رايت إنه بعد أن كان من معتقدي هذه الفرضية استبان له خطؤها وعدم قوة أدلتها اللغوية والتاريخية، بل إن التحليل اللغوي ومنطق الهجرات التاريخية واتجاه حركة القبائل والشعوب ينقضها، ومن ثَم تحول إلى الفرضية الأخرى، لقوة أدلتها واتساق براهينها، واحتوائها على تفسير متكامل لأصل الشعوب السامية واتجاه حركتها.

والفرضية الأخرى، هي فرضية جزيرة العرب، أو الحجاز واليمن، فهذه هي سيرتها وأصحابها.

في مقدمة كتابه: النحو الأشوري المقارن An Assyrian Grammar For Comparative Purposes، الذي صدر سنة ١٨٧٢م، وقارن فيه بين قواعد الأشورية والآرامية والعربية والعبرية والحبشية، وضع المستشرق وأستاذ اللغة الأشورية وعلومها في جامعة أكسفورد أرشيبالد هنري سايس Archibald Henry Sayce فرضية الأصل العربي للشعوب السامية في عبارة صريحة واضحة:

"تقاليد الساميين وتراثهم كله يشير إلى أن جزيرة العرب Arabia هي الوطن الأصلي لهذا الجنس، فهي المنطقة الوحيدة من العالم التي بقيت سامية خالصة Exclusively

Semite، وخصائص الساميين الجنسية، ورسوخ العقائد، وَحِدة الطباع، وقوة الخيال، كلها يمكن ردها بوضوح إلى الأصل الصحراوي Desert Origin"[8]

وتبعه إبرهارد شرادر Eberhard Schrader (١٨٣٦م-١٩٠٨م)، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة فريدريش فلهلم Friedrich Wilhelm، في برلين، بدراسة نشرها، سنة ١٨٧٣م، في مجلة الجمعية الألمانية للاستشراق Zeitschriften der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft، عن أصول الشعوب السامية، وأفاض فيها في عرض الروابط الدينية واللغوية بين الشعوب السامية المختلفة، وما كان بينها من علاقات جغرافية وتاريخية، ووصل شرادر من دراسته المتعددة الأوجه إلى أن:

"**جزيرة العرب Arabia هي موطن هذه الشعوب**"[9]

وفي كتابه: الجغرافيا القديمة لجزيرة العرب كأساس لفهم تطور السامية Die alte Geographie Arabiens als Grundlage der Entwicklungsgeschichte des Semitismus، الذي صدر في برن Bern، سنة ١٨٧٥م، تابع المستشرق النمساوي ألويز سبرنجر Aloys Sprenger نتائج سايس وشرادر، ونص على أن:

"**الساميون جميعاً هم في تقديري طبقات متتابعة من العرب Successive layers of Arabs، تكونت حولهم وخرجت منهم**"[10].

وفرضية جزيرة العرب، أو الحجاز واليمن، موطناً للشعوب السامية كلها، وأن العرب هم أصل هذه الشعوب أو الشعب السامي الأقدم والأول، أكدها بعد سايس وشرادر وسبرنجر أجيال مختلفة من أساطين الاستشراق وأعلام الدراسات السامية.

ومن أشهر هؤلاء في الأوساط الأكاديمية، ومن أرصنهم، المستشرق الهولندي ميخيل دي خويه Michael de Goeje، أستاذ العربية واللغات الشرقية في جامعة ليدن Leiden، في دراسته: موطن الشعوب السامية Het Vaderland der Semietische، سنة ١٨٨٢م، والمستشرق الإنجليزي وليم رايت، أستاذ العربية واللغات السامية في كمبردج في كتابه: النحو المقارن للغات السامية، الذي صدر سنة ١٨٩٠م، والمستشرق الألماني وأستاذ العربية واللغات السامية في جامعة برلين كارل بروكلمان Carl Brockelmann،

---

8) Archibald Henry Sayce: An Assyrian Grammar For Comparative Purposes, P13, Samuel Bagster and Sons, London, 1872.
9) Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages, P7.
10) Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages, P7.

في كتابه: فقه اللغات السامية Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen، الصادر سنة ١٩٠٨م، والمستشرق الإيطالي، ودوق سيرمونيتا Sermoneta، الأمير ليوني كايتاني Leone Caetani (١٨٩٦م-١٩٣٥م)، في الجزء الأول من كتابه: دراسات في تاريخ الشرق ,Studi di Storia Orientale، الذي صدر في ميلانو سنة ١٩١١م، والمستشرق اليهودي وأستاذ اللغات الشرقية في الجامعة المصرية، إسرائيل ولفنسون Israel Wolfensohn (١٨٩٩م-١٩٨٠م)، في كتابه: تاريخ اللغات السامية، الصادر في القاهرة سنة ١٩٢٩م، والمستشرق الإيطالي وأستاذ التاريخ واللغات السامية في جامعة روما سباتينو موسكاتي Sabatino Moscati (١٩٢٢م-١٩٩٧م)، في كتابه: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن An introduction to the comparative grammar of the Semitic languages، الصادر بالإنجليزية سنة ١٩٦٤م.

وكانت أدلة هؤلاء جميعاً، على أن جزيرة العرب هي موطن الساميين ومهد السامية، قائمة على دعامتين، الأولى هي المقارنة بين اللغات السامية، وبينها جميعاً وبين اللغة السامية الأم، للوصول إلى وريثتها المباشرة التي انحدرت منها وهي الأقرب إليها من هذه اللغات.

وأما الدعامة الثانية، فهي منطق الهجرات واتجاه حركة القبائل والشعوب، وأمثلتها عبر التاريخ.

وكان المستشرق الهولندي دي خويه، أول من أطاح بفرضية انحدار الساميين من جبال أرمينيا وكردستان إلى بلاد الرافدين، ثم إلى جزيرة العرب، ثم وضع تفسيراً لاتجاه حركة القبائل السامية يناقضها وينقضها، فقال في دراسته: موطن الشعوب السامية:

"ثمة قاعدة عامة لا استثناء فيها عبر التاريخ، وهي أن قاطني الجبال Mounteneers لا يمكن أبداً أن يتحولوا لسكنى السهول الفسيحة، ولا أن يتحول أهل السهول ووديان الأنهار ليصبحوا من البدو والرعاة Nomad Shepherds، وعلى ذلك لا يمكن أن يكون الساميون قد هبطوا من جبال أرفكشاد(•) Arrapachitis ليسكنوا سهول بابل ومستنقعاتها، أما البدو وسكان الصحاري فهم الذين يتحركون دوماً

•) أرفكشاد هو ثالث أبناء سام، في جدول الأجناس والشعوب، في الإصحاح العاشر من سفر التكوين.

في اتجاه الأراضي المزروعة والمأهولة بحثاً عن الماء والكلأ، وبهذه الطريقة تكونت القرى والبلدات، وهكذا تحرك سكان البوادي في جزيرة العرب من مواطنهم قاصدين السهول الواسعة في كل اتجاه، فغرسوا بذوراً منهم في سوريا وبابل ، ثم تتابعت طبقاتهم المهاجرة، فاستوطنت بلاد الرافدين كلها، ثم اتجهوا شمالاً نحو كردستان وأرمينيا"(١١)

وتفسير دي خويه لاتجاه حركة الساميين من موطنهم الأصلي في بوادي جزيرة العرب إلى سهول العراق والشام، ودوافعهم لذلك، أكده المستشرق الألماني كارل بروكلمان، في كتابه: فقه اللغات السامية، مستدلاً بنماذج الهجرة في هذه المنطقة عبر التاريخ:

"لوحظ في العصور التاريخية كيف أن بلاد الحضارة في ما بين بين النهرين وسوريا كانت تكتسحها دائماً وأبداً موجات من القبائل البدوية القادمة من الصحراء العربية، حتى غمرت أخيراً إحدى هذه الموجات القوية، وهي الموجة العربية، كل صدر آسيا وشمال إفريقيا، فإذا تأمل المرء في كل هذا، فإنه يمكنه حقاً أن يعتقد أن الجزيرة العربية هي المكان الذي يصلح لأن يكون مهد الساميين الأول"(١٢)

ثم أضاف المستشرق الإيطالي ليوني كايتاني أسانيد جغرافية إلى أدلة بروكلمان التاريخية، معتمداً على البحوث التي قام بها المستشرق والمستكشف وعالم الآثار الألماني وأستاذ اللغات الشرقية في جامعة برلين هوجو فنكلر Hugo Winckler (١٨٦٣م-١٩١٣م)، عن جغرافية جزيرة العرب في العصور القديمة، فتكونت من بحوث فنكلر ونظرية كايتاني ما يعرف بفرضية فنكلر وكايتاني Winckler-Caetani Theory.

ونظرية فنكلر الجغرافية، هي أن جزيرة العرب كانت في الأصل أرضاً خصبة ويمر بها عدة أنهار، ثم تعرضت عبر القرون لاضطرابات مناخية، وموجات من الجفاف Aridification والتصحر Desiccation، صاحبها تغير في طبقات التربة وجفاف هذه الأنهار، فقلت الموارد الغذائية والأماكن الصالحة للعيش، فاضطر قاطنوا وديان الأنهار التي جفت وتصحرت إلى الحركة منها في موجات متلاحقة نحو سهول بلاد الرافدين والشام.

---

11) Cited in: Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages, P8.

١٢) بروكلمان: فقه اللغات السامية، ص١٢.

ومن ثَم كانت النتيجة التي وصل إليها فنكلر من بحوثه الجغرافية والجيولوجية، في كتابه: تاريخ بابل وأشور The History of Babylonia And Assyria، ثم توسع كايتاني في البناء عليها، هي أن:

"موطن الساميين هو جزيرة العرب، وبناءًا على أسس جغرافية Geographical Grounds فإن كل الاحتمالات الأخرى غير مطروحة، وما كان متاحاً لقبائل البادية من طرق للحركة والتنقل هو الذي قادها إلى سوريا وفلسطين"(١٣)

والأسس الجغرافية والجيولوجية لفرضية فنكلر وكايتاني، صارت مع تطور العلوم الطبيعية وتوافر الوسائل التكنولوجية لفحص طبقات الأرض، وكشف ما اختفى تحت سطحها الظاهر عبر العصور، ومعرفة ما تعرضت له من تقلبات مناخية، حقيقة مؤكدة.

في دراسة جغرافية وجيولوجية عنوانها: بحوث عن تضاريس الأرض والبيئة في العصور القديمة، في منطقة جنوب شرق الخليج العربي Geomorphological and Paleo-environmental Investigations in The South Eastern Arabian Gulf Region، نشرت سنة ٢٠٠٨م، في العدد رقم: ١٠١ من مجلة: جيومورفولوجي: أو مظاهر سطح الأرض Geomorphology، يقول: أدريان باركر Adrian Parker وأندرو جودي Andrew Goudie، وهما أستاذان للجغرافيا في جامعة أكسفورد، ومتخصصان في الجغرافيا التاريخية:

"تتفق معظم المصادر الجغرافية والجيولوجية على أن جزيرة العرب مرت بحقبة رطبة Humid، تتسم بوفرة الأمطار وحياة الأنهار، بفعل الرياح الموسمية Monsoon القادمة من المحيط الهندي، وكان ذلك قبل ذروة العصر الجليدي الأخير Last Glacial Maximum ... ومع هذه الذروة الجليدية، منذ حوالي عشرة آلاف سنة، دخلت جزيرة العرب حقبة من الجفاف القاسي Extreme Aridity، إذ تجمدت مصادر المياه، وشحت المياه اللازمة لري المناطق الأكثر دفئاً، وصاحب ذلك انخفاض

---

13) Hugo Winckler: The History of Babylonia And Assyria, P19-20, Translated by: James Alexander Craig, Hodder and Southghton, London, 1907.

في مستوى سطح البحرCoastline، فكان أقل بمائة وعشرين متراً عن المستوى الذي هو عليه الآن"(١٤).

وفي الثلاثين من أبريل سنة ٢٠١٢م، أعلنت جامعة أكسفورد عن تكوين فريق علمي من تخصصات مختلفة، يرأسه الدكتور ميشيل بتراليا Michael Petraglia، مدير مركز دراسات الآثار الآسيوية Centre for Asian Archaeology، في أكسفورد، من أجل البدء في مشروع ضخم يموله المجلس الأوروبي للأبحاث European Research Council، هدفه البحث عن تأثير التغيرات المناخية والبيئية على تطور الجنس البشري، عبر فحص طبقات الأرض وتتبع مجاري المياه في عصور تاريخية مختلفة ورسم خرائط لها، والبحث عن حفريات الحيوانات والإنسان المطمورة، وفحص عينات من أحماضها النووية.

والمكان أو المنطقة من العالم التي وقع اختيار فريق المشروع على إجراء بحوثه الأثرية والجغرافية والجيولوجية والبيولوجية فيها هي جزيرة العرب، والسبب في هذا الاختيار ونقطة البدء في المشروع، كما ذكر الدكتور بتراليا، في بيان إعلان المشروع وتكوين فريقه العلمي، الموجود على موقع جامعة أكسفورد، ثم في دراسته: جزيرة العرب في ما قبل التاريخ: صحراواتها، وتركيبتها السكانية The prehistory of the Arabian Peninsula, Deserts, Dispersals and Demography، التي نُشرت في العدد الحادي والعشرين من مجلة الأنثروبولوجيا التطورية Evolutionary Anthropology، سنة ٢٠١٢م، هو:

"ما كشفته الصور الملتقطة بالأقمار الصناعية لوكالة ناسا لأبحاث الفضاء NASA، من وجود شبكة قديمة من وديان الأنهار River Valleys وأحواض

---

14) Adrian Parker and Andrew Goudie: Geomorphological and Paleo-environmental Investigations in The South eastern Arabian Gulf Region, Geomorphology 101 (2008): P458-470.

البحيرات Lake Basins، مطمورة تحت رمال جزيرة العرب(•)، وقد كانت هذه الأنهار تشق طريقها عبر أراضي جزيرة العرب وتجري فيها المياه يوماً ما(•)"(١٥)(١٦)

إذاً، وبمنطق التاريخ والاتجاه الطبيعي لحركة القبائل والشعوب، وباعتبارات الجغرافيا، وتحولات المناخ والبيئة الحاكمة لهذه الحركة والمحددة لاتجاهها، جزيرة العرب هي مهد الساميين، والعرب هم أصل الشعوب السامية.

- **العربية أم اللغات:**

فالآن ماذا عن اللغة السامية الأم، التي تفرعت منها لغات الشعوب السامية كلها، وأي هذه اللغات هي الأقرب إلى هاتيك اللغة الأم ووريثتها المباشرة، وهي نفسها الدليل على مهد الساميين وأصولهم؟

وهما في الحقيقة سؤال واحد، والإجابة على أحدهما تحمل معها إجابة الآخر.

فأما ماذا تكون اللغة السامية الأم، وكيف يمكن معرفة خصائصها، فبجمع الخصائص التي تشترك فيها اللغات السامية كلها أو أغلبها، فالقدر المشترك بين هذه اللغات هو ما ورثته من خصائص السامية الأم.

وأما وريثتها أو امتدادها الأقرب إليها، فهي اللغة التي تجمع أكبر قدر من هذه الخصائص وأغناها بها، وقد تفرقت في غيرها، وهي التي تشترك في كل خصيصة مع

•) انظر الخريطة التي رسمها الدكتور بترالیا في دراسته عن جزيرة العرب في ما قبل التاريخ لشبكة الأنهار القديمة المطمورة تحت رمال جزيرة العرب في ملحق الصور.

•) روى الإمام مسلم في صحيحه عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً"، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ج٢، ص ٧٠١، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه معلق شرح الإمام النووي: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

15) Michael Petraglia: Ancient network of rivers and lakes found in Arabian Desert, http://www.ox.ac.uk/news /2012-04-30.

16) Michael Petraglia and Huw Grouchutt: The Prehistory of the Arabian Peninsula: Deserts, Dispersals, and Demography, Evolutionary Anthropology, 21: 113–125 (2012).

أكبر عدد من اللغات الأخرى، في حين يقل هذا الاشتراك بين أي لغة أخرى من اللغات السامية وبين أخواتها.

فمنهج فقهاء اللغات السامية الذي انتهجوه للوصول إلى اللغة الأم، وأقرب بناتها إليها، كما يخبرك المستشرق اليهودي إسرائيل ولفنسون، هو:

"**أن نبدأ باستخلاص القديم من كل اللغات السامية، ثم نكوّن من هذا القديم لغة واحدة تعتبر كأنها أقرب صورة للغة السامية، ثم نوازن بينها وبين جميع اللغات السامية، فالتي تكون منها أقرب إلى هذه الصورة، تكون هي الإقرب إلى السامية الأصلية**"(١٧)

فإليك ولفنسون يعرفك بما وصل إليه فقهاء اللغات السامية من فحصها والمقارنة بينها وتحديد ما تتفق فيه من الخصائص وما تختلف:

"**اللغة العربية تشتمل على عناصر لغوية قديمة جداً من اللغات السامية الأصلية، بسبب وجودها في مناطق منعزلة عن العالم بعيدة عما يتوارد عليه من تقلبات وتغيرات يكثر حدوثها وتختلف نتائجها اختلافاً مستمراً في البلدان العمرانية ... وهذا يدل على أن اللغة العربية كانت موجودة في مهد اللغات السامية، أو في ناحية قريبة منها، أو أن العناصر التي نزحت إلى بلاد العرب كانت من أقدم الأمم السامية**"(١٨)

وفي ثنايا ما أخبرك به ولفنسون تفسير احتفاظ العربية بخصائص اللغة السامية الأم وفقدها في غيرها، وفيه الرد على من أنكروا اتصال العربية بالسامية الأم مستدلين بتأخر ظهور العرب على مسرح التاريخ عن الشعوب السامية الأخرى، وحداثة النقوش والمخطوطات العربية المكتوبة مقارنة ببقية اللغات السامية.

ذلك أن أقدم آثار اللغة الأكادية المكتوبة تعود إلى القرن العشرين قبل الميلاد، وأقدم آثار العبرية إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، والفينيقية إلى القرن العاشر قبل الميلاد، والآرامية إلى القرن التاسع قبل الميلاد، بينما لا تتعدى أقدم آثار العربية المكتوبة، وعُثر عليها في بعض النقوش وشواهد القبور، القرن الثاني قبل الميلاد.

---

١٧) **المستشرق اليهودي إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ص٨، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م.**

١٨) **تاريخ اللغات السامية، ص٧، ١٦٨.**

وتفسير ذلك أن العرب هم الفرع من الشعوب السامية الذي ظل في مهده الأول في جزيرة العرب، معزولاً عن الشعوب الأخرى، وفي غير طريق القوافل والتجارة، وبعيداً عن وجهات الغزو وجبهات الحروب، ومن ثَم ظلت لغتهم على أصلها خالصة نقية، لم تشبها شوائب الاختلاط بلغات غير العرب من الشعوب، بينما تحركت الفروع الأخرى من الساميين شمالاً وشرقاً وغرباً في اتجاه السهول ووديان الأنهار، فاختلطوا بغيرهم من الشعوب، واستقروا في طرق القوافل وممرات الإمبراطوريات والجيوش، فصارت لغاتهم مزيجاً من اللغة الأم التي جاءوا بها ومما شابها من آثار غيرها من اللغات.

فتأخر ظهور العرب على مسرح التاريخ، وعزلتهم عن أحداثه، من دلائل نقاء لغتهم وحملها لخصائص اللغة الأم، كما يقول وليم رايت:

"**بين التاريخ السياسي والتاريخ اللغوي تباين كبير، فربما تظهر أمة وتلعب دورها في تاريخ العالم ثم تختفي من على مسرحه، قبل أن تلوح أي إشارة لشعب آخر بزمان طويل، لكن من الناحية اللغوية، ربما تمثل لغة هذا الشعب الحديث الظهور في التاريخ اللغة الأصل في صورة أعرق More Antique Phase، وتضع بين يدي الباحث في اللغويات Philologist نموذجاً أكثر ثراءًا**"(١٩)

وأما الاستدلال بتأخر ظهور آثار العربية مكتوبة، فيفنده ما ذكره كارل بروكلمان عن الشعر الجاهلي وظهوره في لغة ناضجة ثرية تمتلك قدرة هائلة على التعبير، وحفظه سماعاً دون تدوين، فهذه اللغة:

"**تملك الوسيلة للتعبير عن الإحساس الرقيق في الحب والشعور بالعزة، ولها تأثيرها الشعري الرائع .... واستخدام هذه اللغة الشعرية في زمان لمّا يقيد فيه الشعر بالكتابة، أو على الأقل لم يفضل استخدامها في تدوينه، يعتمد على ما يسمى بطبائع الشعوب**"(٢٠)

---

19) William Wright: Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages, P10.

٢٠) كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية، ص٢٩-٣٠.

والفضل ما شهدت به الأعداء، فهذه شهادة المستشرق الفرنسي إرنست رينان، وهو خصم لدود للإسلام والعربية، في كتابه: التاريخ العام والنحو المقارن للغات السامية Histoire Generale et systeme Compare des Langues Semitiques:

"... ففي القرن السادس الميلادي يتراءى في جزيرة العرب عالم زاخر بالحياة وبالشعر وبالرقي الفكري في بلاد لم تُعطِ حتى هذا التاريخ أي دليل على وجودها، فبدون سابقة ولا تمهيد نلتقي فجأة بفترة المعلقات وغيرها من الشعر الذي احتواه كتاب الأغاني، شعر فطري في مضمونه، بينما هو من حيث الشكل في غاية الأناقة، ولغته منذ البداية تفوق في لطائفها أشد أنواع الكلام إمعاناً في الثقافة، وبه ألوان من الحصافة في النقد الأدبي والبيان تشبه ما نجده في أشد عصور الإنسانية إعمالاً للفكر ... ربما كانت اللغة العربية نفسها هي الظاهرة الأشد غرابة والأكثر استعصاءً على الشرح والتعليل، فهذه اللغة المجهولة قبل هذا التاريخ تبدو لنا فجأة بكل كمالها ومرونتها وثروتها التي لا تنتهي، لقد كانت من الكمال منذ بدايتها بدرجة تدفعنا إلى القول إنها منذ ذلك الوقت إلى العصر الحديث لم تتعرض لأي تعديل ذي بال، اللغة العربية لا طفولة لها، ولا شيخوخة أيضاً، فمنذ ظهرت على الملأ ومنذ انتصاراتها المعجزة قيل كل ما يمكن أن يقال عنها، ولست أدري إذا كان يوجد مثل آخر للغة جاءت إلى الدنيا مثل هذه اللغة، من غير مرحلة بدائية، ولا فترات انتقالية، ولا تجارب تتلمس فيها معالم الطريق"[٢١]

ومن كلام بروكلمان ورينان يجب أن تنتبه إلى الفرق الشاسع بين اللغة والكتابة، فاللغة هي أصوات الحروف والكلمات، والكتابة هي ابتكار علامات ورسوم للدلالة على هذه الأصوات، حروفاً وكلمات، وهما مسألتان مختلفتان، فالأصل في اللغة الأصوات التي يتكلمها أهلها، وهي الفيصل في الحكم على سبق لغة لأخرى، أو تأخرها عنها، وابتكار رسوم أو علامات كتابية للدلالة على هذه الأصوات في لغة قبل أخرى لا يعني سبق اللغة ولا غناها، بل يعني فقط سبقها في تقييد أصواتها بالكتابة.

وإليك نص المستشرق الهولندي دي خويه على ما عرفك به ولفنسون صريحاً مباشراً:

---

٢١) نقلاً عن: دكتور حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم، ص١٣٥، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

"بمقارنة لغة العرب بلغات الساميين الأخرى، في أقدم صورها التي نعرفها، يمكن الجزم أن كلام العرب Speech of the Arabs هو أقرب ما نملكه شبهاً باللسان السامي الأول Primitive Semitic Tongue"[٢٢]

ثم إليك المستشرق الالماني كارل بروكلمان، يخبرك كيف وصل المستشرقون إلى ما أخبرك به ولفنسون، ونص عليه صريحاً دي خويه، ويوجز لك أدلتهم وبراهينهم اللغوية عليه:

"وتقابل اللغة العربية مع اللغة الحبشية، تحت اسم: السامية الجنوبية الغربية، اللهجات الكنعانية والآرامية، تحت اسم: السامية الشمالية الغربية، وتتميز العربية عن الحبشية باحتفاظها الكامل بالأصوات الأصلية الغنية، خاصة أصوات الحلق وأصوات الصفير، واحتفاظها التام بالحركات القديمة، وطريقة بناء الصيغ في السامية الأولى توجد هنا في أرقى مراحلها، تلك التي وسعت كل إمكانات الاستعداد الأصلي، وبذلك زادت قدرة اللغة على التعبير بالأفعال زيادة كبيرة"[٢٣]

فإليك بسط ما أوجزه بروكلمان من أدلة المستشرقين وفقهاء اللغات السامية على أن العربية هي أقدم اللغات السامية وأغناها وأقربها للسامية الأم، أو أنها امتداد لها، أو أنها هي نفسها السامية الأم، من كتابه: فقه اللغات السامية، مع كتاب موسكاتي: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، وكتاب وليام رايت: النحو المقارن للغات السامية، مع إضافة أمثلة من المعجم المختصر المقارن بين اللغات السامية، الذي ألحقه إسرائيل ولفنسون بكتابه: تاريخ اللغات السامية.

أول خصيصة في اللغات السامية، كما علمت، أن دعائمها تقوم على الحروف الساكنة أو الصامتة، وأن المعنى الأصلي للكلمة يرتبط بها، من ثَم زيادة عدد حروفها، وتنوع مخارجها، وتعدد صفاتها، وهي علامات على سعة اللغة وكثرة مفرداتها وثرائها وقدرتها على التعبير واستيعاب المعاني.

والعربية هي اللغة السامية الوحيدة التي يطابق عدد حروفها ومخارج هذه الحروف اللغة السامية الأم، فعدد حروف العربية ثمانية وعشرون حرفاً، وهو نفسه عدد حروف السامية

---

22) Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages, P8.

٢٣) فقه اللغات السامية، ص٢٨، ٢٩.

الأم، مع احتمال وجود حرف زائد في السامية الأم على العربية، بينما ضاعت من الآرامية والسريانية والعبرية أصوات ستة أحرف، هي: غ، خ، ض، ظ، ث، ذ، فيبلغ عدد حروف هذه اللغات اثنين وعشرين حرفاً، وفقدان الحروف وأصواتها مقرون بقلة جذور الكلمات والمفردات وضعف القدرة على توليدها بالصرف، وبضيق اللغة عن المعاني وفقر إمكاناتها في التعبير.

والعربية هي اللغة الوحيدة التي تستوعب أصوات حروفها الجهاز الصوتي كله، وتتوزع مخارجها توزيعاً متناسقاً على مساحة واسعة بين مختلف مكوناته، وبين أجزاء هذه المكونات، من الشفاه إلى أقصى الحلق والحنجرة.

ولا نظير للعربية في ذلك بين اللغات السامية، بل ولا في أي لغة من لغات الأرض غيرها، ففي لغات تفتقد بعض المخارج بعض أصوات الحروف أو تدمج بينها، وفي بعضها الآخر ضاعت مخارج بكاملها وبكل أصواتها.

فإليك التفاصيل.

في الأحرف الشفوية Blabials، ضاع في الأكادية والأشورية صوت الواو الشفوية في أول الكلمة، وحل محله صوت الباء أو الميم، ويحدث تبادل بين الفاء والباء الشفوية الثقيلة.

فكلمة: فَم العربية، هي: بو البابلية الأشورية، وبه العبرية، وبوما الآرامية السريانية.

وحروف ما بين الأسنان في السامية الأم Interdentals، وهي الثاء والذال والظاء(•)، تحتفظ بها العربية كاملة، بينما ضاعت من اللغات السامية الأخرى جميعها، وتحرك مخرجها إلى ما وراء الأسنان.

•) هذا هو تصنيف هذه الحروف عند علماء اللغويات في الغرب، مثل رايت وبروكلمان وموسكاتي، ومن ينقلون عنهم في الشرق، وعلماء التجويد والقراءات أكثر دقة وضبطاً من فقهاء السامية في تحديد مخرج هذه الحروف، فمخرجها من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، تمييزاً لها عن التاء والدال والطاء التي تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ومخرج الثاء من أدنى طرف اللسان إلى الثنايا العليا، يليه إلى الداخل مخرج الذال، ثم الظاء، وأما الضاد عندهم فلها مخرج تنفرد به وحدها، وهو إحدى حافتي اللسان أو كلتاهما مع ما يحاذيها من الأضراس العليا.

فالثاء لا وجود لها سوى في العربية والأوغاريتية، بينما تنقلب في الأشورية والعبرية إلى شين، وفي الآرامية والسريانية إلى تاء، وفي الحبشية إلى سين.

فكلمة: ثوْر العربية، هي ثَر الأوغاريتية، وشورو الأشورية، وشوْر العبرية، وتوْرا السريانية، وسوْر الحبشية.

والذال تنقلب في الأشورية والعبرية والحبشية إلى زاي، وفي الأوغاريتية والآرامية والسريانية إلى دال.

فكلمة: ذئب العربية، هي زيبو الأشورية، وداب الأوغاريتية، وزاب العبرية والحبشية، ودابا الآرامية والسريانية.

والظاء تنقلب في الأشورية والعبرية والحبشية إلى صاد، وفي الآرامية والسريانية إلى طاء، ولا وجود لها في غير العربية سوى في الأوغاريتية.

فكلمة ظِل العربية والأوغاريتية: هي صِلو الأشورية، وصيل العبرية، وطِلالا السريانية، وصِلالوت الحبشية.

وأما الضاد فلا وجود لها سوى في العربية والحبشية القديمة، وتنقلب في اللغات السامية الأخرى كلها إلى صاد، ما عدا السريانية فإنها تنقلب إلى عين.

فكلمة: أرض العربية، هي إرصيتو الأشورية، وأرص الأوغاريتية، وإرص العبرية، وأرعا السريانية.

وأما حروف الأسنان Dentals، التاء والدال والطاء، فالطاء، وهي صوت سامي أم، لا تمييز بينها وبين التاء في الأشورية، وتنقلب في بعض الأسماء الآرامية والسريانية إلى دال.

وفي الحروف الأسنانية الأنفية والجانبية والمكررة Nasal, Lateral and Rolled Dentals، وهي النون واللام والراء، العربية هي الوحيدة التي تميز بين أصواتها تمييزاً تاماً، بينما يحدث تبادل بينها في بقية اللغات السامية.

ففي الفينيقية تنقلب النون في بعض الكلمات إلى لام، فتصير: بن إلى: بل، بمعنى: ابن، وفي الآرامية قد تنقلب إلى راء، فتصبح: بر، وفي الحبشية تنقلب اللام إلى نون، فتتحول: سلسلة إلى: سنسل.

وفي العبرية تحركت الراء من مخرجها الأصلي، وهو طرف اللسان وجزء من ظهره مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، إلى الداخل، فاكتسبت صفات لهوية وحلقية.

وفي الحروف الاحتكاكية الأسنانية، والاحتكاكية اللثوية، وهي الشين والزاي والصاد، تنطق الشين في الأشورية سيناً، وانتقل ذلك إلى الأعلام الأشورية في عبرية الكتاب المقدس، فهي فيه بالسين وأصلها بالشين، فالملك الأشوري سَرجون Sargon في العهد القديم، أصله: شاروكِن Sharuken.

وفي الأحرف اللهوية الانفجارية Velar Plosives، وهي القاف والكاف، يحدث تبادل بينهما في الأشورية والآرامية، وفي البابلية تحولت القاف إلى جيم.

وفي حروف الحلق، وهي الهمز والهاء والعين والحاء والغين والخاء، تحتفظ العربية بأصواتها كاملة وتميز بينها تمييزاً تاماً.

ولا توجد الغين، وهي صوت سامي أم، إلا في العربية والأوغاريتية، بينما اتحدت في الآرامية والسريانية والعبرية والحبشية بالعين، وتحولت في الأكادية والأشورية إلى همزة.

فكلمة: غرب العربية، هي: عرب السريانية والعبرية والحبشية، وأرب الأكادية، وغزة العربية هي في الكتاب المقدس: عَزَّة.

والخاء تحولت إلى حاء في السريانية والعبرية والحبشية، فكلمة: أخ العربية، هي: أحَا السريانية، وآح العبرية، وأحو الحبشية.

والعين والحاء والهاء قد تنقلب في الآرامية والسريانية والعبرية إلى همزة، فكلمة: عصا العربية، هي: أعا الآرامية السريانية.

وفي الأشورية ضاعت حروف الحلق كلها وآلت إلى الهمزة والخاء، فكلمة: حمار العربية والحبشية، هي: حمور العبرية، ومارا السريانية، وإمرو الأشورية.

وأما أصوات المد القصيرة، وهي الفتحة والكسرة والضمة، والطويلة، وهي الألف والياء والواو، فنظام المدود في العربية هو الوحيد في كل اللغات السامية، كما يقول موسكاتي، الذي يناظر نظام المد في السامية الأم ويمثله تمثيلاً مضبوطاً.

وإحدى خصائص اللغة السامية الأم أنها لغة إعراب، تتحدد فيها وظيفة الكلمة في الجملة بتغيير الحركات في أواخر الكلمات.

والعربية، كما يقول موسكاتي:

"**تحتفظ بنظام تصريف السامية الأم كله، حالة الرفع، وحالة الجر وحالة النصب**"[٢٤].

أما في غير العربية، فقد ضمرت علامات الإعراب في الأشورية، فصارت مخففة، وتستخدم مختلطة دون تمييز مع حالات الإعراب الثلاثة.

وضاعت علامات الإعراب من الآرامية والسريانية والعبرية، ولم يتبق منها سوى آثار وبقايا، مثل بقاء الفتحة في صورة ألف في آخر الكلمة الدالة على الحركة نحو مكان في العبرية، وفي أواخر الظروف في الآرامية والسريانية.

فمثلاً: بابلا في العبرية تعني التوجه نحو بابل، أو: إلى بابل، وتحتا وبارا هي تحت وخارج في الآرامية والسريانية.

وتحتفظ الآرامية والسريانية بعلامات الإعراب أيضاً في بعض الكلمات الجامدة، مثل الرفع في أسماء القرابة: أبو وأخو وحمو، والجر في ضمير المخاطبة وضمير الغائب، والنصب في ضمير المخاطب وضمير الغائبة.

والحبشية احتفظت بعلامة النصب عامة، وبعلامة الرفع في الأعداد فقط، وضاعت منها علامة الجر.

وتحتفظ العربية بصيغ الإعراب السامية الأم لجمع المذكر السالم وجمع المؤنث كاملة، وغيرها من اللغات السامية إما فقدتها فقداناً تاماً، أو تحتفظ بها في بعض الصور أو الكلمات دون الأخرى، وفي بعضها، كالأوغاريتية، تشتبه صيغة الجمع بصيغة التثنية، وفي السريانية يحل الألف والنون في بعض صيغ جمع التأنيث محل الألف والتاء، وفي العبرية تمتد الياء في جمع المذكر من حالة النصب إلى حالة الرفع.

ومما تنفرد به اللغات السامية، كما تعرف، أنها لغات اشتقاق، تتكون فيها الكلمات من جذور أو أصول، ثم تتنوع معانيها بموافقة ميزان صرفي، أي بتحوير بنية الجذر ليوافق أوزاناً ثابتة.

---

٢٤) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ص١٦٢.

والعربية أغنى الساميات بالجذور وأصول الكلمات، لزيادة عدد حروفها وتنوع مخارجها وتوزيعها الواسع على الجهاز الصوتي كله، فزيادة حرف واحد إلى حرفين يؤدي بالتبديل بينها إلى توليد تسعة جذور ثلاثية، بينما لا ينتج الحرفان وحدهما سوى جذرين اثنين.

ويصل عدد جذور الكلمات أو أصولها في لسان العرب إلى اثني عشر ألف جذر، وتحوي كل ما في غيرها من اللغات السامية من أصول، بينما لا يتجاوز عدد الجذور في أي من السريانية والعبرية ثلاثة آلاف جذر.

ومن خصائص اللغات السامية، أن الاشتقاق وتكوين الكلمات من الجذور بالتصريف والوزن، والعربية أغنى اللغات السامية بالأوزان، وتستوعب في الجذر الواحد كل صيغ التصريف، وتحتفظ بكل ما في السامية الأم من صيغ الاشتقاق، وما يتبعها من معان، مثل اسم الفاعل واسم المفعول وتصريف الضمائر مع الأسماء، وتحتفظ بمعظم الصيغ الأصلية للضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، بينما تقتصر السريانية والعبرية وجل اللغات السامية الأخرى على صيغة أو اثنتين للاشتقاق في كل جذر.

وصيغ جمع التكسير، وهي من السامية الأم، لا وجود لها سوى في العربية والحبشية، والمثنى لا يستعمل استعمالاً كاملاً إلا في العربية والأوغاريتية، ولا وجود له في الحبشية، ويستعمل بصورة محدودة في العبرية، وهو مندثر في الآرامية، ولم يُحفظ في السريانية سوى في كلمتين من العدد، هما: اثنتان ومائتان.

ولزيادة حروف العربية وثرائها بجذور الكلمات واستيعابها لكل وجوه التصريف في الجذر الواحد، تحوي العربية ثروة كبيرة من المفردات والكلمات، فتكثر فيها المترادفات مع تعدد دلالاتها، ومن ثَم يمكن التعبير عن اسم الشئ أو صفته أو عن المعنى الواحد بكلمات متعددة، ذات دلالات متنوعة أو تصفه من وجوه مختلفة، ويربو عدد الكلمات والمفردات فيها على ما في السريانية والعبرية زيادة هائلة.

فالأسد في العربية له عشرات الأسماء التي تصف نوعه ومراحل عمره وشكله وصفاته وطباعه، ومن هذه الأسماء: الليث والهزبر والدرغامة والهيصر والعباس والهمهام والنهاس والحيدرة، أما في العبرية فليس سوى ستة أسماء حصراً، وهي: أريه وأري للأسد الذكر البالغ، ولبي للبُوأَة أو أنثاه البالغة، وكفير للشبل الصغير، وشحل للأسد شديد الزئير، وليش وهي ليث العربية، ومعناها القوي الشديد.

وأما العجيب حقاً، فهو أن غير العربية من اللغات السامية، كالسريانية والعبرية، تحوي كلمات جامدة على صورة واحدة ولا جذور لها في معجمها تحمل معناها، بينما توجد هذه الجذور ومشتقاتها بمعناها هذا الذي تحمله صورتها الجامدة في العربية، وهو ما يعني ضرورة الرجوع للعربية لفهم الأصول التي اشتقت منها كلمات السريانية والعبرية!!

فإذا كنت في شك من ذلك، أو جعلتك الضلالات التي يبثها الموتورون من العربية، ومن يتلقفون هذه الضلالات ويشيعونها من الأميين في بلاليص ستان، أقرب إلى عدم التصديق، فهاك إقرار إمام السريان وفقيه السريانية المطران إقليميس يوسف داوود الموصلي السرياني، وشهادته في كتابه: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية:

"**... ثم اعلم أن اللغة السريانية هي إحدى اللغات المعروفة بالسامية، وأشهر اللغات السامية هي العربية والعبرانية والسريانية والحبشية وفروعهن، وإنما ذكرنا العربية أولاً بين اللغات السامية، لأن العربية باعتراف جميع المحققين هي أشرف اللغات السامية من حيث هي لغة وأقدمهن وأغناهن، ومعرفتها لازمة لكل من يريد أن يتقن حسناً معرفة سائر اللغات السامية، ولا سيما السريانية**"[٢٥]

---

٢٥) اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية، ص٨.



الخريطة التي رسمها دكتور ميشيل بتراليا وفريقه البحثي في جامعة أكسفورد لشبكة البحيرات والأنهار القديمة المطمورة تحت رمال جزيرة العرب، ونشرها في دراسته عن الجغرافيا القديمة لجزيرة العرب.